

الفكر الصوفي الإسلامي وأصوله

بقلم: عبد العزيز بن عبد الله
أستاذ بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسنية

الصوف أو انصاف أو الصفة (2) ولعل قضية الاشتقاق مرتبطة بالفكرة التي تربط التصوف الإسلامي بالتصوف الهنسي أو الافلاطوني أو المسيحي (3) وقد أرجع ماسينيون التصوف الى أصل إسلامي صرف هو القرآن ولكن نيكولسن لم يعتبر التصوف مجرد نتيجة للدراسات القرآنية (4)

التصوف الإسلامي يستمد عناصره السلفية من الكتاب والسنة ونلمس صورا حية لتعاريف التصوف التي أوصلوها الى الالف (1) في سيرة الصحابة والتابعين ولم يتخذ التصوف مراسمه الخاصة الا بعد القرون الاولى . وقد اختلف في مصدر لفظه التصوف فقليل من

(1) طبقات ابن السبكي (ج 3 ص 239) التقط هذه التعاريف أبو منصور عبد القاهر البغدادي ورتبها تبعاً لأصحابها حسب الحروف الهجائية .

(2) ذكر كينون في مجلة Cahiers du Sud (ص 39) في مقال بعنوان علم الباطن في الإسلام L'ésotérisme de l'islam ان لفظه صوفية مجموعة احرف جفرية معناها الحكمة الالهية ونقل ميشوبيلير Michaux Bellaire في محاضراته (ص 5) رأى من يقول بان أصل الكلمة يوناني Sophos ونقل البيروني أن أصل الصوفية السوفية أي الحكماء Sophistes (راجع التذكرة الطاهرية ج 6 ص 239 وأل فتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ص 240) .

(3) حاول طه حسين في « ذكرى أبي العلاء » ارجاع التصوف الإسلامي الى أصل هندي وكذلك كولنزير في كتابه Le dogme et la loi de l'islam (العقيدة وقانون الإسلام) (ص 134) ولعل طه حسين تأثر بما لاحظته الفريد فون كريمر من وجود عناصر هندوسية في نظريات المعري .

(4) Legacy of Islam قانون الإسلام (ص 112) حيث لاحظ أيضا أنه اذا صح ان بعض المتصوفة كانوا بين خواص دارسي القرآن فان التعميم لا يصح وقد ذكر كارا دوفوفي «مفكر الإسلام» أن التصوف ليس قطعة من مذهب الفارابي الفلسفي وإنما ظاهرة عرضية فيه « ولا يخفى ان فلسفة مدرسة الاسكندرية وهي الافلاطونية الحديثة قد تأثرت بالتوراة والانجيل كما سترى ويتجل هذا التأثير حتى في رسالة حي بن يقظان لابن طفيل حيث وصف بطل القصة (ص 114) بأنه « لما فنى عن ذاته وعن جميع اللوات ولم ير في الوجود الا الواحد القيوم وشاهد ما شاهد عاد الى ملاحظة الاغيار عندما أفاق من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله أنه لا ذات يفاير بها ذات الحق وان حقيقة ذاته هي ذات الحق بل ليس ثمة شيء سوى ذات الحق » .

الاقتباس من القوانين السماوية المعروفة بتشريعات نوح Lois noachides والتي تتلخص في سبعة مبادئ (6) تلك المبادئ التي لم تتبلور الا بعد نزول التوراة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مما سبب ظهور كثيرين أمثال كونفوسيوس (551 - 479 ق.م) ولاوتسو بالصين ويودا (القرن الخامس) وزردشت في فارس (النصف الثاني من القرن السادس) أو فلاسفة الهيين مثل فيثاغورس (580 - 500 ق.م) في اليونان ومن الصنف الغربية أن هذه الحركة الروحية لم تنبثق في العالم الا منذ القرن السادس قبل الميلاد وكان مركزها الاساسي هو ايران وبابل منبثق الديانة الابراهيمية (7) حيث تعزز الفكر الديني بتراث العبرانيين الذين نقلوا أسرى إلى بابل في عهد نبوختنصر الثاني الاكبر (605 - 562 ق.م) وقد تحدثت التوراة عن الصلات المهمة بين اليهود والفرس (8) في هذه الفترة .

وسنستعرض الآن المظاهر البارزة في مختلف الملل والنحل لمقارنتها بالديانات السماوية .

وتشتمل المعطيات الصوفية على عنصرين : أحدهما وليد الفكر الانساني وهو حظ مشاع بين البشرية يستمد من الفطرة الخالصة التي لم تمازجها شوائب منطقية والعنصر الثاني سماوي المحتد انبثق عن الوحي الالهي وتبلور في الكتب المنزلة .

ويقول كثير من نقاد التصوف الانساني بوجود تقاليد روحية traditions انتقلت من عصر الى عصر بواسطة الرسل والانبياء كآدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وقد أكد القرآن وحدة التشريعات السماوية منذ نشأة الخلق (شرع لكم من الدين الآية) فكانت مصدرا لتلك التقاليد .

وقد استطاعت شعوب ما قبل التاريخ ان تتواصل عن طريق القوافل التجارية أو مواكب الغزو فانتشرت كثير من المظاهر الحضارية بين النهر الأصفر بالصين ونهر السنند بالهند ودجلة والفرات والنيل الى شواطئ البحر الابيض المتوسط (5) وسنضرت لذلك امثلة بالنحل والملل التي ظهرت في هذه المناطق على يد متنبئين حاولوا

5) تحدث جوفري بيبي عن وضع العالم في عام 2000 ق.م فلاحظ أن ما كان يجري آنذاك في تبيسة بمصر كان له اثره بواسطة الاسفار والقوافل التجارية والهجرات في غابات سكاندينايا وهضبات اسبانيا وقرى الصين الشمالية (راجع البحث التالي حول التصوف الصيني) .

6) هي محاربة الاشرار وسفك دم الانسان والفسق والقلق والسرقة ونزع عضو حيوان حتى لاكله مع الامر باقامة العدل .

وقد حدثنا التوراة عن بلاد عيلام (السوس القديمة أو خوزستان أو الاهواز) وهي اقدم اجزاء ايران سكنها بنو سام وعيلام هو الابن الاكبر لسام بن نوح (سفر التكوين ج 1 ص 22) وهو ابو الفرس ولعل لذلك اثره في حضارة ايران وفلسفتها الروحية منذ الالف الرابعة قبل الميلاد .

7) ولد سيدنا ابراهيم في قرية فدان ارام قرب بابل التي تقع على بعد 160 كم من بغداد ومعلوم ان الشعب الهادي في ايران استولى على نسوى عاصمة اشور Ninive عام 612 ق.م وتحالف مع الكلدانيين والمصريين واحتل بابل .

8) يذكر المؤرخون (راجع مقنمة في تاريخ الحضارات القديمة ج 2 ص 378 تأليف طه باقر طبعة 1956) ان من المصادر المهمة في تاريخ فارس ما جاء في التوراة عن احوال فارس في العهد الاخميني (550-331 ق.م) من الصلات المهمة بين اليهود والفرس بعد ان فتح كورش بابل والتوراة المشار اليها هنا اختلفت الانظار في اصلها فاهل الكتاب يزعمون انها هي السفر الذي نزل على موسى عليه السلام حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعلى هذا يكون ورود ذكر فتح الفرس البيت المقدس من الاضافات وهي نظرية القائلين بان النص الاصلى اضيفت اليه زيادات بعد سيدنا موسى عليه السلام ومنهم من يؤكد ان تاريخ ظهور هذا السفر المضخم هو عام 1753 م .

لمبارس

قتلها وقد « خلق » مزدا الانسان حر الارادة للانحياز
 نجبة الخير والهمه اشرف الاعمال كالزراعة وتربية
 الماشية ولانسان حياتان (الدنيا والآخرة) قد أحصيت
 أعماله في كتاب ونصب له الصراط وهو للكافر أرق من
 الشمر ومآله الجنة أو النار أو الاعراف ان تعادلت
 الحسنات والسيئات وزعم زردشت انه رسول أنذر
 يقرب الساعة ويحث في النفس التي خلقها الله بعد ان
 لم تكن وهي تنال السعادة الابدية بكل حرية انا حاريت
 الشرور ولها قوى (9) كالضمير والوجدان والعقل والروح
 وقد استخلصت دائرة المعارف البريطانية من أقواله
 ثنويته بينما ذهب الشهر ستاني والقلقشندي وهوج
 Haug الى وحدانيته من حيث العقيدة (فجر
 الاسلام لاحمد امين) .

وقد ازدهرت الزردشتية أيام الكيانيين فتقلص
 ظلها بعد انتصار الاسكندر عام 331 ق.م. ثم استرجعت
 مكانتها في عهد الساسانيين الذين دشن سنة 226م الى
 الفتح الاسلامي وما زال الزردشتيون الفارون بدينهم في
 الهند (بمباي) وهم الفرسيون Parsées وما كادت
 تقوم الدولة السامانية اواخر القرن الثالث الهجري بعد
 اسلام أمير بلخ سامان الزردشتي حتى انمحت آثار معابد
 النار في ولايات فارس (8 500 اليوم) .

المانوية : وند ماني عام 215 او 216م (10) واستمر
 مذهبه رغم الاضطهاد الى القرن العاشر الميلادي في
 مجموع آسيا وأوربا (II) والتعاليم المانوية مزيج من
 النصرانية والزردشتية فالعالم نشأ من النور والظلمة
 وانبتق انخير عن النور والشر عن الظلام وازدوج اله

دخل الفرس في الاسلام ويزروا في العربية ولكن
 رواسب فكرهم التقليدي طبعت الدين الجديد بأصباغ
 انعكس فيها خيال الفرس وأمثالهم وحكمهم فظهرت
 نزعات ظريفة فنت في أصالة الاسلام تحت شعار التشيع
 والتصوف .

عبد الفرس مظاهر الطبيعة وفرقوا بين آلهة الخير
 وآلهة الشر ورمزوا للنور بالنار التي ألهب أوارها قرائح
 شعرائهم .

الزردشتية : وتجديت مقومات هذا الدين بظهور
 زردشت Zoroaster الذي رجح جاكسون
 Jackson في كتابه Life of Zoroaster انه
 عاش نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد (لا عام
 6000 ق.م.) ومات حوالي 583 ق.م. بعد ان انتقل من
 اذربيجان لنشر فلسفته في بلخ ثم فارس كلها بعد اعتناق
 الملك بشتاسب لدينه وقد وحد زردشت الارواح الخيرة
 في اله واحد هو « أمورا مزدا كما حصر قوى الشر في شيء
 واحد هو « دروج أمرمن » وله كتاب اسمه Avesta
 (ايستاق حسب المسعودي) يحتوي على احدى وعشرين
 سورة (200 ورقة) قد حرر بالفارسية القديمة
 المجهولة وفقد معظمها عدا مواظ مبعثرة حول الشعائر
 وقوانين المعبد ويزعمون ان الخليفة عمر عاملهم معاملة
 أهل الكتاب لتوحيدهم .

ومن مبادئه ان النور اصل الخير والنظام والحق
 ويمتد ذلك الى الحيوانات النافعة بينما يعتبر الظلمة
 منبثق الشرور وفي سفلياتها الحشرات والهوام التي يجب

9- قارن ذلك بما عند الصوفية :

(10) البيروني في كتابه « الآثار الباقية » وهو أصح المصادر مع الفصل في الملل والنحل لابن حزم والملل
 والنحل للشهرستاني والفهرست لابن النديم والتاريخ لليقوي وسرح العيون لابسن نباتة حسب تأكيدات
 براون Browne في كتابه A literary History of Persa
 ويقول ابن النديم والبيروني ان المانوية يطلقسون كلمة السماعين على من لم يرفوا الى الدرجة العليا في
 المانوية مقابل الصديقين الزاهدين في الدنيا وصديق عربية أصلها آرامي وهو صديقي Saddiqai وحودها
 الفرس الى زنديق فوصفت بها طائفة من المانوية ثم استعملت في المانوية جميعا (فجر الاسلام ص 109) .
 (11) يقال بان سان اوغستيان Saint Augustin ظل مانويا الى ان تنصر (فجر الاسلام ص 106) ونقل
 ابن النديم عن بعضهم ان الامامون كان مانويا وقد فنده ابن النديم والظاهر ان ذلك راجع لميل بعض المتكلمين
 الى ما رجحه المانويون عندما اتاروا مسائل كالمعاد وهل هو بالجسم ام الروح وقد سمي أنصار ماني
 بالزنادقة كما يفهم من كلام ابن النديم الا انه استعمل في معنى الاتحاد عموما وأصله فارسي مغرب (زاندكر)
 أي (دهري) (راجع شفاء القليل ص 97) .

وفي عام (250 ق.م) اكتسح الاشوريون الذين عاشوا شمالي العراق وخضعوا لبابل - مجموع الشرق الادنى طوال ستة قرون وبلغت مملكتهم اوجها في القرن السابع ق.م. في عهد اشور بانيبال (669 - 626 ق.م.) الذي اكتسح مصر وبلاد الكلدان وكندس الاسلاب في عاصمته نينوى باسطة نفوذه من هضاب ايران الى الحبشة وحوالي (612 ق.م.) تكتل اهل بابل وماني (شعب ايران) واسترجعت بابل نفوذها وبذخها وملكها الامير نبوختنصر الثاني الاكبر (605 - 562 ق.م.) غير ان الفرس ما لبثوا ان غزوا بامرة ملكهم كورش هذه البلاد اواخر القرن السادس فانهارت الملكة البابلية (539 ق.م.) وقد عثر على مكتبة اشور بانيبال الحافلة بالآلاف الواح الحجر المكتوبة ونبوختنصر هذا هو النبي احتل بيت المقدس ونقل اهلها اسارى الى بابل حتى حررهم كورش المنكور فتم الاتصال من جديد بين الايرانيين والعبرانيين .

وقد فتح المسلمون العراق وفارس فتوطدت صلتهن بالنصارى والمزديكية والزرديشتية كما اثبتت غزوهن للشام عن معطيات جديدة هي من رواسب الحضارات التي تعاقبت على البلاد من فينيقية وعمورية وكنعانية ومصرية ويونانية ورومانية ، ثم اكتمل هذا المزيج بتراث مصر المتبلور في الاسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية وملتقى النظريات الشرقية والغربية وتمززت هذه المجموعة باشتات من المؤثرات الرومانية كانت قد تسربت الى اقصى المغرب .

ويعد فتوح السند وبخارى وخوازم وسمرقند في منذ القرن الاول للهجرة انصهرت هذه العناصر في بوتقة جديدة مزجت المعطيات الاجتماعية والعقلية والدينية لاسيما وان الحكمة كانت ضالة المومن يلتقطها حيث وجدها وخاصة بعدما وحد الدين الجديد بين شعوب مختلفة اصبحت وجهاتها متناسقة تحت راية الاسلام فامتت جزيرة العرب جزيرة المسلمين وامسى سكان بعض المراكز الجديدة كالكوفة يتكفونون في اغلبهم من الموالي .

الخير والشتر وامتزج المنصران في صراع عنيف وبينما كان زردشت يرى ان عالمنا عالم خير لغلبة الخير على الشر يبرز ماني شر المزيج فلذلك ترهبين وحرم النكاح استمجالا لفناء النوع البشري وتزهدي ونهى عن نبسج الحيوان وزعم انه النبي النى بشر به عيسى مع اقراره بنبوته زردشت وقد قتله بهرام الاول وشرد اتباعه الذين تركزوا في بابل ثم سمرقند وعد منهم الجعد بن درهم (مؤدب مروان الحمار) وخالد القسرى وصالح بن عبد القوس وبشار بن برد .

المزديكية : ظهر مزدك في فارس حول سنة 487م وهو من نيسابور (الطبري) ثنوي امتاز بتعاليمه الاشتراكية والنسوة في المال والنساء لانهما اصل كل قتال علاوة على تشيعة لفكرة الزهد والقناعة وكان المذهب يستاصل عام 523م ولكنه استمر طول العهد الاموي ويتفق ابو نر معه في اشتراكية الاموال مستمدا ذلك من فهمه الخاص للقرآن رغم ما اشار اليه الطبري من ايعاز ابن السوداء لابي نر بذلك ، وعبد الله بن سبا هذا يهوى اتصل بمزديكية العراق او اليمن ، ولاشك ان النظريات الزردشتية تحتوي على كثير من العناصر التي نجدها في الكتب المنزلة ومعظمها من الاسرائيليات التي تسربت الى الاسلام فكيف استطاع الايرانيون وفي ضمنهم زردشت التعرف الى معطيات الديانات السالفة الايراهيمية والموسوية ؟ ومعلوم ان سيدنا موسى عاش حوالي الرابع عشر قبل المسيح (12) وتلاه سيدنا داوود الذي نزلت عليه الزبور واسبس بيت المقدس في القرن الثامن عشر (1010 - 997 ق.م.) ثم سليمان (973 - 930 ق.م.) انذى كان لحكمته وفلسفته الروحية اثر قوي في الشرق كله وله صحائف وشروح للثورة ومنها الامثال والمزامير وينكر التاريخ ان غزاة ساميين انحدروا حوالي (3000 ق.م.) من تخوم سوريا والجزيرة العربية فاسسوا مملكة الكلدان وعاصمها بابل واميرها السادس حمورابي (1800 ق.م.) صاحب المجموعة القانونية في الاحوال الشخصية وكانت القوافل الكلدانية تصل الاسطول الكلداني في الخليج الفارسي باساطيل شعوب المتوسط ومنها العبرانيون وتتجه من الصحارى الى مدن دجلة والفرات

12) تشير المصادر الغربية الى ان بني اسرائيل خرجوا من مصر الى صحراء سيناء حوالي 1400 او 1200 ق.م. حيث جمعهم سيدنا موسى وقادهم الى تخوم ارض كنعان وهي الارض الموعودة فنزلت الالواح التي تدعو الى وحدانية الله .

في العهد العباسي حيث برزت ثلة من التراجم الفرس أشار اليهم ابن النديم (الفهرست ص 244) كعبد الله ابن المقفع (16) (صاحب كتاب تاريخ ملوك الفرس وكليلة ودمنة وسيرة مزرك والتاج وهو سيرة انور شروان والادب الكبير والادب الصغير واليتيمة) وآل نوبخت والحسن بن سهل والبلانري وغيرهم وقد ترجم كتاب زرادشت المسمى أفتستا مع شروحه وينقل عنه حمزة الاصفهاني (الفهرست ص 305) فتسريت العادات الفارسية الى المجتمع العربي ومنها يوم النيروز عيد الفرس ولبس القطنسوة وتنظيم مجالس الشراب والغناء وتغيير السواد بالخضرة في القلائس والاعلام وهو لسون كسرى والمجوس (17) والقصص والتوقعات والامثال .

ومن النقلة أيضا موسى ويوسف ابنا خالد وابير الحسن على ابن زياد التيمي وجيلة بن سالم واسحاق ابن زيد ومحمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكرني وزانويه بن ماشويه الاصفهاني ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني وبهرام بن مردان شاه وعمر بن الفرخان .

اثر المسيحية واليهودية والفلسفة اليونانية

في الفكر الاسلامي

عندما ظهر الاسلام كانت معطيات الفلسفة اليونانية قد تطمعت بأراء الاسكندرانيين الصوفية تحت تأثير النظريات اليهودية والمسيحية وخاصة فيما وراء المادة وكانت المشاكل العقائدية موضوعة على البساط بشكل حاد لفت انظار رجال الفكر في المجتمع الاسلامي الجديد الذي اضطر الى خوض المعركة مسلحا بالقرآن والحديث

ومن العقائد الفارسية التي اقتترنت ببعض ما راج في صدر الاسلام اعتبار الملوك (13) مصطفين من الله للحكم وظله في الارض وان كان الفارسيون أنفسهم اقتبسوا هذه النظرية فيما يظهر من العبريين الذين نقلوا الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد معطيات الديانة الموسوية وقد نص القرآن على ذلك بقوله : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية » وهذا هو الحق الالهي الذي عرف بأوريبا بـ Droit divin وقد تأثر الشيعية ببعض انظار الشعب الساساني في ملوكه كما اقتبس الرافضة من الثنوية واشع الفكر الفارسي في خياله الخصب وروحه الفياضة من خلال قصائد شعراء الفرس الذين عبروا عن خوالج افئدتهم في اوزان والفاظ غريبة ومن هؤلاء بنو يسار النسائي (اسماعيل ومحمد وابراهيم) وابو العباس الاعمي وموسى شهوات (وهما من ائمة بيجان) وكانوا شعوبيين قد اذكتهم عصبية المجمة ونفحتهم روح الفخر بامجاد الفرس وكان لهذا التأثير صناء في نفوس شعراء العرب الذين نزلوا بفارس والعراق كالظرماع والكميت وجريد والفرزدق وازدوجت حكم العرب بامثال الفرس (بالاضافة الى حكمة اليونان (14) وتبلورت كثير من هذه العناصر في الحان الغناء (15) ومجالس اللهب الفارسية التي ازدهرت في المجتمع العربي فصفا الذوق الشعري ورتقت حوشيه بالموسيقى المشجية .

وقد تمكنت عناصر عربية قبل الاسلام من الاتصال بفارس كالحارث بن كلدة الثقفي الذي قرأ الطب في جند بسابور وطب بارض فارس (اخبار الحكماء للقطبي) .

وقد خلفت الدولة الساسانية طوال القرون الاربعة التي استمر فيها حكمها طائفة وافرة من الكتب شاعت

(13) يلاحظ كثير ممن تعرض للشيعنة مدى تاثرهم بالمذاهب الفلسفية والصوفية وكيف ارتبطت الاسماعيلية والتصوف الاسلامي بالنظريات الفارسية (راجع دراسات Ivanov وكوربان Corbin استنلا التصوف في جامعة طهران) .

(14) مثل ما ورد في كتاب ابن مسكويه حول نظرية ارسطو في ان الفضيلة وسط بين رذيلتين ونظرية الملائون في أسس الفضائل الاربعة (الحكمة والعلفة والشجاعة والعدل) (راجع احمد أمين : فجر الاسلام) (15) ذكر أبو الفرج في الاغانى (ج 8 ص 149) ان سعيد بن مسجح المكي الاسود نقل غناء الفرس الى غناء العرب وازاد اليها في الشام الحان الروم .

وأكد أبو هلال العسكري في ديوان المعاني « ان عبد الحميد الكاتب واصله من الانبار (حسب ابن خلكان ج 1 ص 435) حول الكتابة العربية الى نمط جديد . »

(16) نشأ ابن المقفع زرادشتيا ولم يسلم الا قبل قتله ببضع سنوات أي عام 142 (أو 143 أو 145) .

(17) الجهشيارى - الوزرا. والكتاب (ص 396) .

والمنطق الصحيح ، وقد نشر اليهود والنصارى الثقافة الاجنبية بين العرب قبل الاسلام بقرون حيث أسس الاولون مستعمرات في يثرب وخيبر ووادي القرى واليمن ونشروا تعاليم التوراة فترسبت الى الاسلام بأوسع نطاق على يد كعب الاحبار ووهب ابن منبه وكانت اليهودية قد تأثرت بالثقافة اليونانية نظرا لانصياح اليهود لحكم اليونان ثم الرومان في الاسكندرية وشواطئ المتوسط فامتزجت في الاسكندرية آراء الروم بآراء الشرق الاقصى واتصل الدين بالفلسفة وتساوق بحث الفريسيين بالهام الشرق فكان اليهود حرصين على التوفيق بين الجانبين .

وينقسم التوراة او الكتاب المقدس Bible الى قسمين : العهد القديم والعهد الجديد فالعهد القديم يشتمل على سفر يوشع في استيلاء بنى اسرائيل على فلسطين وسفر القضاة والحكام وأربعة أسفار للملوك فيها اخبار شمویل وطالوت وداود وسليمان (18) وهو بالعبرانية (19) أما العهد الجديد فهو يحتوى خاصة على الاناجيل الاربعة ولغته هي اليونانية نقل اليها من طرف اثنين وسبعين من الترجمة العبريين ثم نقل الى اللاتينية وعثر على نسخة منه في القرن الرابع الميلادي لا تعترف الكنيسة بغيرها .

ويطلق اليهود التوراة على Pentateuque وهو خمسة أسفار (سفر التكوين أو الخلق وفيه قصص

اما التلمود فهو مناقشات مع شروح وقوانين يهودية وأفكار الاحبار في ألف عام في خصوص العلاقة بين الدين والدنيا وقد بدأ جمعه منذ القرن الرابع للميلاد الى نهاية السادس وقسمه الاول : المشنا Michna والثاني الجيمارة ، اما المشني فقد ألفها Juda le Saint يهودا القديس آخر القرن الحادي عشر الميلادي من ستة أقسام و 6x جزءا و 523 فصلا وهي عبارة عن نصوص شرعية وتعاليق على نصوص التوراة منذ البداية الى عام 218م (اي 3978 من التاريخ العبري) (20) ولكنها غمضت مع توالي المصور مما حدا الحبر أشي Rab Achi الى تفسيرها بعد ذلك بثلاثة قرون وسماها Guemara اي التكاليد ، وقد كانت شفاهية يتوارثها الآباء عن الاجداد ، وقد نزل على موسى Décalogue او الوصايا العشر (وهي مدرجة في جزء الهجرة من مصر في التوراة وهذه الوصايا أساس الديانة الموسوية وقد

راجع قصص القرآن - لجماعة من العلماء منهم اجاد المولى بك وتقول المصادر المسيحية بان انبياء بنى اسرائيل بعد سليمان اثنا عشر منهم يونس الذي ظهر في نينوى عاصمة اشور في القرن الثامن قبل الميلاد (القصص ص 226) . ومعلوم ان ملك اشور وهو اشور بانيبال بسط نفوذه الى مصر في القرن السابع قبل الميلاد حتى انهارت اشور بين 602 و 609 قبل الميلاد تحت ضربات المايزين والبابليين وقد آمن اهل نينوى بيونس بعد امتحان يسير ولا شك ان تعاليمه أثرت في الفكر الصوفي الايراني والبابلي قبل ظهور زردشت ويلاحظ ان أهم انبياء بنى اسرائيل الذين نقلوا تعاليم موسى الى الافاق النائية بين ايران وفلسطين عاشوا حوالي القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد أمثال حزقيال بن بوزي معاصر نبوختنصر وباروك وارميا وأشعيا وغيرهم ممن لا يندرج فيهم مثل ايلياس (875-853 ق. م .).

18) راجع قصص القرآن - لجماعة من العلماء منهم اجاد المولى بك وتقول المصادر المسيحية بان انبياء بنى اسرائيل بعد سليمان اثنا عشر منهم يونس الذي ظهر في نينوى عاصمة اشور في القرن الثامن قبل الميلاد (القصص ص 226) . ومعلوم ان ملك اشور وهو اشور بانيبال بسط نفوذه الى مصر في القرن السابع قبل الميلاد حتى انهارت اشور بين 602 و 609 قبل الميلاد تحت ضربات المايزين والبابليين وقد آمن اهل نينوى بيونس بعد امتحان يسير ولا شك ان تعاليمه أثرت في الفكر الصوفي الايراني والبابلي قبل ظهور زردشت ويلاحظ ان أهم انبياء بنى اسرائيل الذين نقلوا تعاليم موسى الى الافاق النائية بين ايران وفلسطين عاشوا حوالي القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد أمثال حزقيال بن بوزي معاصر نبوختنصر وباروك وارميا وأشعيا وغيرهم ممن لا يندرج فيهم مثل ايلياس (875-853 ق. م .).

19) بعضه بالارامية وهي لغة تكلم بها اليهود بعد عودتهم من بابل على اثر اسرهم من طرف نبوختنصر عام 586 قبل الميلاد .

20) التاريخ الميلادي يبدأ عام 754 من تاريخ روما وان كان المسيح ولد عام 749 وتاريخ يولييان سنته 25 و 365 في حين ان السنة الحقيقية هي 2419879 و 365 لذلك يستعاض هنا عن تاخر تاريخ يوليوس قيصر (101-44 قبل الميلاد) بالغاء ثلاثة اعوام كبيسة في كل اربعة وروسيًا تطبق هذه السنة المسماة سنة كريكواد البابا التي أمر عام 1582 بتدارك عشرة الايام الزائدة بين التاريخين باعتبار يوم 5 اكتوبر 1582 بمثابة 15 منه وما زال الفلظ يصل الى يوم كل اربعة آلاف سنة ويزيد تاريخ كريكواد الآن على التاريخ الروماني بثلاثة عشر يوما .

الله بالصوم والورع والحزن) وأكد أن خير ما في الدنيا سعادة قلب طافح بالحب الالهي والخشية ومحبة الناس وزعم أن الصالح يمكنه التأثير على ارادة الالهية كما زعمت ذلك طائفة تسمى Hassidisme أو Piétisme (21) ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي وقالت أن في وسع العبادة في شكل مخصوص أن تؤدي الى الفيض والاشراق بعد اختطاف الحس extase وهي أن يفتح للعباد مجال الاتصال المباشر بالحق فالرجل الصالح هو الصديق Çaddik يمكنه التأثير على ارادة الله وتغيير مجرى الاحداث الطبيعية بالكرامات وهؤلاء هم خصوم الريانيين التلموديين وقد انتشر هذا المذهب في شرق أوروبا .

وايثاق هذه النظريات الجديدة في الفكر اليهودي ربما كان وليد الآراء المستحدثة فيما وراء المادّة على اثر انصهار الفلسفة الالهية والتصوف في العصور الوسطى التي امتدت من عام 375م الى سنة 453م وهو تاريخ نقضاء الحكم البيزنطي بسقوط الاستانة في حكم العثمانيين وبذلك أصبحت الاسرائيليات نفسها مشكوكا في أصالتها حيث تسربت اليها قصص العامة وقد أبرز ابن قتيبة في كتابه المعارف اختلاف رواية وهب بن منبه عن نص التوراة ، الا أن التعاليم اليهودية كان لها - منذ صدر الاسلام - أثر قوي في نظريات بعض الفرق والطوائف الدينية فقد لاحظ ابن لاثير أن أحمد بن أبي دؤاد الداعي الى انقول بخلق القرآن قد أخذ ذلك عن بشر المريسي ، وأصله يهودي عن لجهم بن صفوان عن الجعد ابن درهم عن ابان بن سمان عن طلوت عن ليبد بن الاعصم ساحر الرسول عليه السلام والقائل بخلق التوراة ويهود هذه الامة هم الرافضة بيغضون الاسلام كما بيغض اليهود النصرانية . وقد حرقهم علي واقتبسوا من اليهود قولهم بأن المنك في آل داود (مثل قول الشيعة في أبناء علي) وتأخير الجهاد الى خروج المسيح المنتظر وتأخير صلاة المغرب الى اشتباك النجوم وابطال عدة النساء وعدم القول بانطلاق الثلث واستحلال دم المسلم وتحريف القرآن وانتقاص جبريل (زعم الرافضة غلط جبريل في الوحي بالقرآن لغير علي) وعدم اكل لحم الجزور (المقد الفريد ج I ص 269) وقد قال اليهود بأن نسخ التوراة

اضيفت اليها ثلاثة عشر بندا من طرف موسى ابن ميمون (1135 - 1204م) وصادقت عليها معظم البيع وهي المعروفة بـ : Credo de Maïmonide وهي تؤكد مبدأ الايقان بوحدة الله وازليته وأنه ليس بجسم وأنه الاول والآخر وأنه المعبود بحق وحده والايمان بما جاء به الرسل وأن تنبؤات موسى حق وأنه خير الانبياء وأن الشرع هو شرع موسى وانها لن تغير وأنه لن ينزل قانون آخر من الله وان الله يعلم ما ظهر وما بطن وأنه يجازي المومنين ويمعاقب المخالفين لشريعته وأن المسيح سيظهر وأن البعث حق الخ ..

وفي النصف الثاني للقرن الثامن الميلادي سطا الريانيون ولم يرض كل اليهود بسيطرتهم فتألف حزب أكد أن التلمود نيس من عند الله بل من عند الريانيين وأنه ليس بتوراة وهذا الحزب هو حزب الكرايم Karaïm الذين تمسكوا بظاهر الكتاب وهم أشبه بالظاهرية وانتشر هذا المذهب في فارس وما زال اتباعه الى الآن في روسيا ومصر .

والقبالية Kabbale علم سرني يبحث في التوراة Pentateuque عن المعنى الباطن لكلام الله وهي تعاليم صوفية باطنية تناقلها اليهود وكان الاحبار يدرسونها شفاهيا في القرن الثالث الميلادي بالكشف عن المفتاح الذي يحل مغالقتها وهي تقول بان النفس الخالدة يجب أن تتروحن لاسترجاع قواها الاصلية وتوراة القبالة هو زohar أي هو التفسير الباطني للتوراة وقد نسب الى الحبر وطبع بايطانيا Rabbi Siméon ben Yohaï عام 1559 وهو يؤكد أن النفوس خلصت منذ بدء الخلق وأن المسيح سيظهر عندما تصفو كل هذه النفوس وفيه وصف للسموات والجحيم والفلك والتنجيم وعلم فراسة الدماغ phrénologie (دراسة تقسيمات الدماغ حسب قوى النفس) وعرافة الكف chiromancie

وُحاول اسحاق لوريا القبالي (المولود عام 1534م) تبسيط الشريعة الموسوية فاثار اضطرابا في الشرق وخاصة ببولونيا ودعا الى مذهب التناسخ (دخول الارواح الطاهرة في الاجسام غير الطاهرة والوصول الى

(21) Piétisme مذهب بروتستانتى ظهر في القرن السابع عشر وما زال منتشرا بالمانيا الى الآن يدعو الى الزهد والى علم احتكار الرهبان لشؤون الدين التي هي من حق الجميع .

بداه وتيمهم بعض الشيعة فى نسخ القرآن وكذلك فى
الرجمة (عودة الياس من السماء) .

أما النصرانية فقد كان لدى المسيحيين (22) فى
القرن الاول والثاني الميلاديين أنجيل كثيرة غير الانجيل
الاريمة المعتمدة وهي أنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا
ثم أرائت الكنيسة فى أوائل القرن الثاني أو أوائل القرن
الثالث الميلادى استبعاد الانجيل غير المعتمدة فحكا
ببطلانها .

فمن ذلك أن انجيل متى غير المعتمد يؤكد أن مريم
لم تكن زوجة ولا مخطوبة وإنما كانت من العذارى الأئنى
نترن أنفسهن نخمة المعبد .

وأما انجيل الابيونيين (وهو انجيل مدون بالارامية
لزعيم اسمه ابيون ظل له اتباع الى أواخر القرن الرابع
الميلادى) فإنه يقر شرائع موسى ويعتبر عيسى هو
المسيح المنتظر وينكر الوهية ويعتبره مجرد بشر رسول
مخالفاً بذلك ما تؤكده جميع الانجيل المعتمدة من الوهية
المسيح وبنوته وكونه أحد الاقانيم الثلاثة المكونة للاله .

وأما انجيل برنابا (القديس الذى هو على الأرجح
أحد التلاميذ السبعين الذين اختارهم المسيح بجانب
الحواريين الاثنى عشر للتبشير بالمسيحية) فقد ورد
نكره منظوقاً فى الترار السنى أصدره البابا جلاسيوس
الاول (492 - 496م) وعدد فيه الكتب المنهى عن قراءتها
فنكره من بينها وقد عثر أحد مستشارى ملك بروسيا
عام 1709 على نسخة من هذا الانجيل مكتوبة بالاطالية
وعلى هامشها تعليقات بالعربية وانتقلت هذه النسخة
الى مكتبة البلاط الملكى بفيينا ويقر هذا الانجيل النى

نشره الشيخ رشيد رضى أن المسيح ليس الا بشرا
رسولا وأنه لم يصلب ولكن شبه لهم وأن الله القى شبه
المسيح على يهودا الاسخريوطى (وهو الحوارى الذى
خان المسيح فتآمر مع اليهود والرومان للقبض عليه)
ويقرر أن المسيح المنتظر الوارد فى العهد القديم هو سيدنا
محمد عليه السلام ويقرر أن الذبيح هو اسماعيل لا
اسحق خلافاً لفظية جمهور أهل السنة (راجع المواهب
اللدنية للقسطاني ج 1 ص 117) .

الا أن فقهاء المسيحيين يقدمون شواهد تقول بأن
هذا الانجيل موضوع بقلم بعض المسلمين وخاصة ما ورد
من أن آدم عليه السلام رأى سطوراً كتبت من نور فيها
لا اله الا الله محمد رسول الله .

وقد تسربت النصرانية الى الجزيرة على يد
النساطرة فى الحيرة واليعاقبة فى غسان والشام مع
صوامع فى وائى القرى وأهم مركز للنصارى هو نجران
يتولى شؤونهم المعاقب (متولى الشؤون الداخلية
الدنيوية) والرئيس (رئيس الحرب والخارجية) والاسقف
وكان بنجران كمية بنيت على نسق مكة ومن رؤسائها
أو أساقفتها قس ابن ساعدة الايائى وقد استنجد
النصارى بالخبشة بعد استبعاد نى نواسم فغزت بلاد
العرب عام 522م ثم 525م وهزمت نائواس وحكمت
تهامة وقد أجلى عمر أهل نجران الى العراق وكان القسس
يردون أسواق العرب للتبشير مثل الشعراء قس وأمىة بن
أبى الصلت وعدي بن زيد فدخلوا على العربية الفاظاً
جديدة (كياسمك اللهم وأما بعد) .

وانقسمت مناطق نفوذ النصرانية عند الفتح فبرز
اليعاقبة فى مصر والنوية والخبشة والنساطرة (23)

(22) راجع بحثنا عنوانه «الانجيل غير المعتمدة عند المسيحيين واتفاق بعضها مع ما جاء به القرآن» للدكتور
على عبد الواحد وفى مجلة (منبر الاسلام) لسان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية عند 11 عام 1964 ص 4

ومعلوم أن أول الانجيل انجيل متى أما انجيل مرقس فقد حرد بالاغريقية حوالى 65 م وانجيل لوقا
حوالى 53 أو 56 (لوقا هو صاحب كتاب أعمال الحواريين المصنف عام 59 والملحق بالعهد Actes des apôtres
انجديد) ويمتاز انجيل يوحنا بطابع صوفى باطنى ولعل المذهب الذى انشقت عن دراسة انجيل برنابا
هى الارىانيسم Arianisme الذى ينكر صاحبه اريوس Arius (256-336 م) وهو قس وكلد فى
الاسكندرية - وحدة جوهر الثالوث المقدس فى المسيحية أى الوهية المسيح كما تولد عن هذا المذهب مذهب
آخر هو المذهب القنوتى ومؤسسه هو مقدونيس Macdonius بطرك الاسكندرية (المتوفى عام 370 م) .
القائل بأن روح القدس مجرد مخلوق لا اله خلافاً لما قرره المجمع الكنسى .

(23) اتباع نستور Nestor بطريق القسطنطينية - الذى ولد فى سوريا (380-440 م) ومات فى صحراء
ليبيا واشتهر بحكمة نصائحه وقيد زعيم الشهرستانى انه ظهر فى عصر المأمون (خبر الاسلام) .

(الموصل والمراق وفارس) والمكائبة في المغرب وصقلية والاندلس والشام ، ومعلوم ان اليماقبة يعتقدون ان المسيح هو الله اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح بينما دعت الفرقتان الاخرى الى فكرة ازواجية الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية في المسيح ، وقد اختلفت هذه الطوائف أيضا في قضايا شتى فتسلطت هل سينزل المسيح قبل قيام الساعة ؟ وهل ستحشر الارواح أم الابدان أم هما معا ؟ وهل صفات الله زائدة عن ذاته أم مما شيء واحد ؟ وقد قال بعض النساطرة بالقدر خيره وشره وكل تلك اثار جلا بين علماء الاسلام (24) .

وقد امتازت المظكة الاسلامية في القرون الوسطى عن اوربا النصرانية بتوافر معتنقى الاديان غير الاسلام فيها واستقلال الكنائس والبيع عن الحكومة الاسلامية (25) وانفراد هذه بالتسامح بينما كانت بيزانس تعاقب من أسلم بالقتل ، وكذلك التزوج بالكتابات وقد قرر الحنفية قتل المسلم بالنمى استنادا الى رأي الصحابة وفيهم عثمان وعلي في اعادة عبيد الله بن عمر قاتل جفينة النصراني وبنيت ابي لؤلؤة والهرمزان واشترط الشافعي لاسلام وقد استعان الرسول عليه السلام في خبير بيهود قينقاع وفي حنين بصفوان بن امية ضد المشركين (الام للشافعي ج 4 ص 177) وقد بلغ عدد اليهود عام 560م حسب الرحالة بنيامين نحو 300 ألف (معجم البلدان مادة يهودية) وقد قال قوم بان التوراة بدلت وغيرت (ابن حزم) وذهب بعض أئمة الحديث الى ان التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل (البخاري والرازي مستندين الى الآية : (يحرفون الكلم عن مواضعه) والآية : (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها الخ ..) نظرا لعدم امكان التواطؤ على التفسير وذهبت طائفة الى انه زيد فيها وغيرت الفاظ يسيرة (ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لزيادة اسحق في آية النبح بالتوراة .

وفي حصوص الانجيل ذهب ابن حزم وابن تيمية الى عدم الاعتراف بالانجيل النبي بين ايدينا وذكر كولد زهير ان الحديث « ابوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم » اخذ

مما ورد في انجيل متى : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وكما وافق الاسلام النصرانية في الامعان في تفضيل الفقراء على الاغنياء واخذ جهم بن صفوان يراي آباء الكنيسة اليونانية بانكار ابدية عذاب النار فقال بان الجنة والنار تفتيان ويفنى اهلهما (الفصل في الملل والنحل لابن حزم وضحي الاسلام لاحمد امين) .

وذكر فون كريم بان المعتزلة نشأت من النصرانية نظرا لنصرانية مسائل كالقدر والجدل في صفات الله والواقع ان القرآن والحديث وتأويلهما مما مصدر الاختلاف .

وفي العصر العباسي استمر الجدل مع النصارى كرسالة الجاحظ « في الرد على النصارى » وما يثيرونه من شبهات ومن شعراء النصرانية في العربية الاخطل في العهد الاموي وابو قابوس في العصر العباسي .

وكانت الاديان منبعا للزهد يابى اليها بعض زهاد المسلمين كما كانت محط الخلعين من الشعراء . ونشأت حولها الحانات ويروي ابن تيمية ان اتخاذ المسلمين القبور مساجد كان تقليدا لليهود والنصارى .

وقد اثر الاسلام في النصرانية فظهر في القرن الثامن الميلادي (الثاني والثالث الهجريين) جنوب غربي فرنسا انكار الاعتراف امام القسس والدعوة الى التوجه لله (خدا بخش) وحركة تدعو الى تحطيم الصور وائتمائل (امر الاميراطور الروماني ليو الثالث عام 726م بتحريم تقديس التماثيل واكده قسطنطن الخامس وليو الرابع ويقولون ان كلوديوس Claudius اسقف تورين (828م - 823م) ادعى الى احراق الصليبان ولد رربي بالاندلس المسلمة وظهرت طائفة نصرانية قربت عقيدة الثالث من الوحدانية وانكرت الوهية المسيح .

وقد حملت النصرانية شيئا من الثقافة اليونانية لان كثيرا من آباء الكنيسة كانوا فلاسفة قبل ان يكونوا رجال دين نظرا لاضطرارهم الى مقارعة آراء الوثنيين بالمنطق فتسريت الى النصرانية فلسفة ارسطو وافلاطون وقد انشئت مدارس لاهوتية مثل منرسة الاسكندرية

(24) حتى قبل الاسلام شاهدنا امثال النصر بن الحارث بن كلدة ابن خالة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل كايه الى الحارج ويعاشر الاحبار ويتعرف الى الفلسفة والحكمة (طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة)
(25) كتاب متر « نهضة الاسلام » - ترجمة خدا بخش من الالمانية الى الانجليزية (ضحى الاسلام ج 1 ص

(في بدء القرن الثالث) ومدرسة انطاكية التي انشأها ملكيون عام 370م ومدرسة نصيبين عام 297م (وكانت تعلم انسيانية وانيونانية) .

ومهر النساطرة في علوم اليونان فترجموا الى لسريانية اللاهوت والفلسفة الى جانب الطب والعلوم الطبيعية وصاروا اطباء في فارس والحيرة ومن ثم كانت البصرة والكوفة مركزين للعلم في الاسلام .

الفلسفة اليونانية : وكان لمذهب الافلاطونية الحديثة الذي تسربت آراؤه الى مدرسة الاسكندرية اثر قوي في تكييف الفلسفة الاسلامية ونظريات المسلمين في علم الكلام والتصوف وقد بدأ ذلك في القرن الثالث الميلادي على يد مؤسس مدرسة الافلاطونية الحديثة الفيلسوف امونيوس سكاس Ammonius Saccas شيخ افلوطين وأوريجين Origène ولونجان Longin وبعد ان انتقل من النصرانية الى الدين اليوناني القديم صار يوفق بين افلاطون وأرسطو ومات عام 242م وولد افلوطين سنة 205م في اسيوط Licopolis ورحل الى فارس في اعقاب جيش كورديان Gordien مشاركاً في معركة سابور بعد أن اتصل زهاء العشر سنوات بامونيوس وعمره 28 سنة فتعرف الى علوم الفرس والهند ثم توجه الى رومة (245م) حيث أسس بها مدرسة (26) للفلسفة ومات عام 270م وقد ألف اثناستوعات Ennéades حيث حاول مزج معطيات الفلسفة القديمة بما اقتبسه من المسيحية وذلك باضافة فكرة الوجود الانهبي الى نظرية الرواقيين الدهرية متأثراً من بعض النواحي بنظرية الثالوث المسيحي وهو يقول بأن العالم متغير له مظاهر شتى لم يوجد بنفسه وانما له خالق واحد غير متعبد لا تدركه العقول والابصار أزلى أبدي واجب الوجود لا يحده مكان ولا يحل في احد من خلقه ليس ذاتاً ولا صفة ، ومباليه اخرى كانت محور الجدل بين علماء الكلام والصوفية بعدما اثارته مناظرات طويلة منذ العصور الاولى في فروع المدرسة الافلوطينية بالشام وأثينة ثم انحدر هذا المذهب متأثراً بالنزاعات الوثنية اليونانية وخوارق المغيبات والسحر والطلاسم وسر الاسماء .

ومعلوم ان الافلاطونية الحديثة استمدت من افلاطون وأرسطو والرواقيين معا وعرفت بروحانيتها وقد استغرق افلوطين في غكرة الوحداية أو الفناء في الالهية مراراً في حياته وأدرك هذه الظاهرة فورفوريس مرة واحدة وقد ساد هذا المذهب في المملكة الرومانية نحو قرنين ونصف قرن حتى أمر جستنيان عام 529م باغلاق مدارس أثينة واستمر نشاط مدرسة الاسكندرية من 300 ق.م الى 642 ب.م رغم غزو الرومان لمصر عام 30م وقد اتصلت اليهودية بالفلسفة في هذه المدرسة على يد فيلون والنصرانية عن طريق كليمان Clément (ولد عام 150 وعائلته وثنية في أثينا) فمزج النصرانية بالافلاطونية ثم عن طريق اوريجين (185 - 254م) تلمذ افلوطين واضطهد ففر الى قيصرية بفلسطين حيث انشأ مدرسة كما انشئت مدرسة نصيبين ونقلت الى الرها فانتسخت بالطابع الاسكندري وقد توقف الفلاسفة في بنوة عيسى لله لان الله في نظرهم هو العلة الاولى لا يلحقه تغير فكيف يكون ابا .

وقد نشط في هذا المجال النساطرة في آسيا عن طريق السريانية واليعاقبة في مصر وكانت لغتهم السريانية والقبطية وقد غلب على اليعاقبة مذهب الافلاطونية الحديثة والتصوف والرهينة بينما مال النساطرة الى التفكير الفلسفي دون افعال في الروحانية رغم انتشار اديارهم .

ومن تلامذة المدرسة الاسكندرية في القصر العباسي بليطيان بطريق الاسكندرية في عهد المنصور وان كان علماء هذه المدرسة لم يتصلوا بالعباسيين لبعد ديارهم وانغماسهم في الطلاسم والعزائم والسحر والرهينة والمكاشفة وتمسك مدارس العراق بعلوم الدنيا .

وقد لعب السريان دوراً هاماً في نشر الفلسفة اليونانية في العراق ، وفارس وخاصة في الرها Edessa ونصيبين وجنديسابور ومدينة حران التي بقيت الى عهد المأمون تلقن المعارف الافلاطونية تحت شعار الصابئة وقد اعتمد العرب على كثير مما ترجم من ليونانية الى السريانية (27) وخاصة ما فقد أصله وقد

(26) تعرف هذه المدرسة عند العرب بمدرسة الاسكندرانيين ويعرف افلوطين عند الشهرستاني بالشيخ اليوناني .
(27) ترجموا كذلك من الفهلوية تاريخ الاسكندر المنقول عن اليونانية وكليلة ودمنة والسندباد .

عطاء وصديقه بن عبيد مجلس الحسن البصرى واما
الى اعتزال صاحب الكبيرة عن الكفار والمؤمنين معا فى
منزلة بين المنزلتين (قد ظهر فى الحقيقة قبل ظهور مدرسة
الحسن البصرى بمائة عام (29) فأطلق على من لم يخض
فى وقعة صفين .

وتتلخص تعاليم المعتزلة فى القول بالمنزلة بين
المنزلتين والقدر أى خلق الانسان أفعاله ونفى الصفات
الزائدة عن الذات وتحكيم العقل فى التحسين والتقبيح
والوعد والوعيد غير أنهم يرون أيضا أن العلم ظاهر
وباطن وأن عليا أخذ بكلتيهما وراثة نبوية وقد استعان
بالفلسفة اليونانية من رجال الاعتزال أبو الهذيل العلاف
والنظام والجاحظ فوضعوا علم الكلام وتسليحا بالمنطق
اليوناني لدحض آراء الدهرية والوثنيين وكان لانظارهم
بعض الأثر فى تكييف الفكر الصوفى بعد القرون الثلاثة
الأولى التى اتسم التصوف الإسلامى غب انصرامها بطابع
غير أصيل .

فلاسماعيلية (30) مثلا (التى تصل بالامامة الى
اسماعيل بن جعفر الصادق) قد اقتبست من الاقلاطونية
الحديثة تأثرت بنظرية اخوان الصفا الفلسفية كما حكمت
المنطق المترمت فى فهم أسرار بعض الشعائر كالرمي والسعي
فأثارت الريب فى النفوس وحادت عن اطار الاسلام
فاعتبرت الرحي رمزا الى صفاء النفس وحصرت أركان
الدين فى العامة محللة الخاصة من قيودها وجعلت الانبياء
من حظ الاولين والفلاسفة من رواد الطبقة الراقية وأوغلت
فى تأويل النصوص على طريق المجاز فوسمت بالباطنية
وفتحت فى مسالك التصوف منافذ خفية اندرجت منها
بعض آراء اليهودية والنصرانية والهندية والزرادشتية
والمزكية فشاعت نظرية اتحاد اللاهوت بالناسوت فى
ذات الامام وفكرة تناسخ الأزواح والاتحاد والحلول .

أما غلاة الشيعة فقد الهوا عليا فقال بعضهم « حل
فى علي جزء الهى واتحد بجسده فيه وبه كان يعلم الغيب .
وأول من دعا الى تأليه علي عبد الله بن سبأ اليهودى

ظل السريانيون أمناه فى الترجمة عدا الالهيات التى
طبعوها بميمس المسيحية فجعلوا مثلا من أفلوطين راهبا
شرقيا (أحمد أمين) ومن أشهر السريانيين ابن ديسان
Barbaisan المتوفى عام 222م الذى مزج مثلا ما فى
الثنوية بالنصرانية وانكر بعث الاجسام وقلده الرافضة
فى بعض أقواله كابى شاكرا الديصانسى وفى العصر
الاموى ترجم يعقوب الرهاوى (640 - 708م) بعض
الكتب الالهية انيونانية ثم عربت كتب فى الفلسفة والعلوم
فى العصر العباسى بواسطة سريانيين أمثال حنين بن
اسحاق وابنه اسحق وابن اخته جيش فوجد الصوفية
وعلماء الكلام مادة وافرة لتطعيم نظرياتهم بهذه الآراء
الدخيلة على الفكر الإسلامى وان كانت معظمها متأثرا
بالفكر المسيحى الذى احتفظ فى خصوص الفلسفة الالهية
بشيء غير قليل من مبادئ الانجيل الرامز الى الكتب
المنزلة فى وحدة التشريع العقائسى (شرع لكم من الذين
الآية) .

ولا يمكن الفصل بين أصول نظريات الصوفية
ونظريات المتكلمين فى كثير من القضايا ، فالقدرية (28)
قد عرضت لمسألة الجبر والاختيار التى كانت موضوع
نقاش طويل فى مختلف المدارس الفلسفية التى تساءلت
عن مدى حرية الإرادة الانسانية ومدى مسئولية الانسان
تبعا لذلك وقد سبق للزرادشتيين أن جعلوا من هذه
القضية محور عقيدتهم كما اهتم بها النصارى فهل اتبعت
هذه الحركة من العراق حول الحسن البصرى أم من
الشام حول الحاشية النصرانية فى بلاط الامويين من
أمثال يحيى الدمشقى ؟ ومهما يكن المنبع الاصلى فان
الخائضين فى الاعتزال حسب ابن تيمية انتشروا فى البصرة
والشام وكانوا قليلين فى المدينة .

ومن الجبرية جهم بن صفوان الخراسانى (قتل
عام 228هـ) أمام الجهمية القائلين بالجبر وعدم القدرة
والاختيار عند الانسان ونفى الصفات والاعتزال (الذى
ترجع تسميته اما الى اعتزال موليين هما واصل ابن

28) القائلون بان للانسان قدرة على أعماله أى كاهل الحرية غير مجبور ومن قادتهم معبد الجهنى الذى قال
عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال بأنه تابعى صدوق لكنه سن سنة سيئة فكان أول من تكلم فى القدر وقتله
الحجاج - ومنهم أيضا غيلان الدمشقى وقد سمي المعتزلة بالقدرية وسما كذلك بالجهمية لاتحادهم فى
نفي الصفات وخلق القرآن .

29) فجر الاسلام ص 290 .

30) للفكرة الصوفية علاقة وثيقة بالتشيع .

التصوف في الهند والصين

وأشهر تعاليمه انوصاية (اى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة بخلافته من بعده) والرجعة وقد دعا ابن السوداء الى القول برجعة الرسول عليه السلام ثم تحول الى الدعوة لرجوع علي ويروى عنه قوله - حسب ابن حزم - بعد وفاة علي : « لو أتيتمونا بدماعه ألف مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا » وأصل الفكرة اسرائيلى لان اليهود يعتقدون أن الياس صعد الى السماء وسيرجع الى الارض لاقرار الدين والتشريع من جديد وقد تأثرت النصرانية بذلك فى انقرون الاولى فادعت عودة المسيح وأثبتت عن هاته النظرية عقيدة اختفاء الائمة عند الشيعة وقد لعب غلاة انعراق دورا هاما فى بلورة هذه المزاعم .

واذا كان هناك شيعة معتدلون كالزيدية (31) المنتشرون فى اليمن فالامامية القائلة بالامام المنتظر تفرقت الى طوائف تدين بعقائد شاذة ومنهم الاثنا عشرية السائدة فى ايران .

انصهرت فى المملكة الاسلامية عناصر شتى فيها السننى الذى له طيبة فى الصرف والعقائير (32) والصينى الذى امتاز بالصناعة والتصاوير والزوج وهم أحسن أهل الارض خلوقا (33) والهنود الذين اشتهروا بالحساب والنجوم والطب والصناعة ، والفرس ذور السياسة والدواوين ، والاتراك المشيعون بروح الحرب والنضال ، علاوة على اشتات ممن تلقوا ثقافة يونانية من السريان الذين مهروا فى التعليقات المنطقية وتميز هذا الانصهار بالتوالى بين الاجناس فى البيوظفة العربية فتفاعلت الامزجة والطبائع بالاضافة الى تأثير الموالى الرقيق .

وقد أمر عثمان بن عفان عامله فى العراق عبد الله ابن عامر بن كرز ان يوجه شخصا له علم بثغر الهند

فبعث حكيما بن جبلة العبدى فلما ذكر لعثمان عنها لم يفرحها أحنا وقد وجد الحجاج محمد بن القاسم الثقفى الى الهند ففتح السند عام 91هـ وما سمي اليوم بحيدر آباد وكان ابن القاسم شابا لم يتجاوز العشرين عاما وقد انتشر السبى السننى فى المملكة الاسلامية وولى ابو جعفر المنصور هشام بن عمرو التغلبى عليها عام 147 ففتح كابل وكشمير وشارك فى الفتوح علماء أمثال الربيع ابن صبيح البصرى أول مدونى الحديث صاحب الجيش الذى سيره الهدى عام 159 لغزو الهند فمات بها وقد ترجم الذهبى فى تذكرته لبعض المحدثين فى السند (ج 2 ص 65 - 257) ومن الشعراء السنديين أبو عطاء السننى ومن اللغويين ابن الاعرابى (أبو زياد عبد سننى) أستاذ ثعلب وابن السكيت ومن المحدثين الهنديين أبو معشر نجيع صاحب المغازى سمع ناعما وقرأ من التابعين .

وقد أثر الهنود فى الثقافة الاسلامية على اثر اتصال المسلمين بهم بواسطة التجارة ثم عن طريق الثقافة الفارسية التى نقلت الى العربية وفى ضمنها جزء من الثقافة الهندية وقد اعتبر المسلمون الهنود احسن الأمم الأربع الممتازة وهم الفرس والهند والروم والصين وأهم تأثير الهند فى الالهيات وقد امتازت الفلسفة الهندية بامتزاجها بالدين واصطباغها بالشعر والخيال فى حين اتسمت الفلسفة اليونانية بالمنهج العلمى المرتكز على الحقائق لا المجاز وقد هدفت الاولى الى خدمة الانسان بينما كانت غاية الثانية المعرفة للمعرفة (34) .

وقد وصف البيرونى عقائد الهند فى القرن الرابع لضلوعته بالسندسكربتية فى « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » (طبع فى ليبسك) فأبرز توافق عقيدة انخاصة مع العقيدة الاسلامية فقال : « واعتقاد الهند فى الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلى من غير ابتداء ولا انتهاء المختار فى فعله القادر الحكيم الحي المحيى المدبر المبقى الفرد فى ملكوته عن الاضداد

31 أتباع زيد بن علي بن الحسن تلميذ واصل بسن عطاء امام المعتزلة ، وهم يرون جواز امانة المفضول مع وجود الافضل ولا يقولون بالجزء الالهى فى علي وقد خرج زيد على هشام بن عبد الملك فصلبه عام 121 هـ . وكذلك ولده يحيى عام 125 هـ .

32 الحيوان للجاحظ ج 3 ص 134 .

33 رسائل الجاحظ ص 63

34 راجع فجر الاسلام لاحمد أمين

والانداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ، (تحقيق ما
للهند ص 13) وقد قارن بين هذه العقائد والنزعات
لصوفية والافلاطونية الحديثة والمسيحية .

ومن الآراء الهندية التي أثرت في الاسلام نظرية
تناسخ الأرواح القائلة بأن الروح لا تفتى بل تنتقل من
بدن الى بدن وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار
بنظرية التناسخ فالأرواح الشريرة تتردد في النبات
والهوام وقد قال فيتا غورس بالتناسخ واخذها عنه
افلاطون ودحض رأيهما أرسطو وأكد البيروني أن ماني
نفي من فارس فهاجر الى الهند واستمد منه التناسخ
وممن أخذ في الاسلام بهنا المذهب أحمد بن حنبل
(معتزلي تبرأ المعتزلة منه) وأبو مسلم الخراساني
والقرامطة ومحمد بن زكرياء الرازي وقبلهم السبئية
الذين قالوا بتناسخ الجزء الالهي في الأئمة بعد علي
وهذه النظرية تؤدي الى مذهب الحلول باتحاد العقل
والعقل والمعقول ، ومن الفرق القائلة في الهند بالتناسخ
مذهب السمينية (نسبة الى الصنم سومنات الذي أحرقه
السلطان محمود بن سبكتكين عام 416 حسبما عند
الجزري في تاريخه) أعداء البراهمة والذين نشروا دينهم
في خراسان وفارس والعراق والموصل الى ظهور زراشت
(ما للهند من مقولة ص 10) وقد ناقش علماء الاسلام
هؤلاء السمينيين في نظرية المعرفة لقولهم بأن المعرفة لا
تحصل الا من باب الحواس وقد سبقوا في ذلك لوك
John Locke (1632-1704) صاحب كتاب محاولة

لدراسة الفكر الانساني

L'essai sur l'entendement humain

والقائل بأن مصدر العلم التجريبية أي الحس المقرون
بالتفكير وهم يعارضون في ذلك نظرية العقليين
les rationalistes (مثل كانت) Kant
وقد أخذ المسلمون عن الهندود حكمهم الشبيهة
بالأمثال العربية ومن عادات الهندود تحريم قتل الحيوان
وقد يكون ذلك هو الذي أثر في أبي العلاء فحرم على
نفسه اللحم .

نماذج من التصوف الهندي والياباني (Zen, Yoga)

اليوكا معناه الاتحاد أي اندماج الفرد في انيته
الحق مما يؤدي الى انصهار الضمير الفرني في الضمير
العالمي وبذلك تنوب الانية الخاصة في الكائن العام

وهناك نوع من الاتحاد يعرف بـ : Halta Yoga
أي الاتحاد الجبري وهو يركز على مناهج نفسانية ويرجع
تاريخه الى الف عام ولا يزال في شكله الاصيل وتقوم
الآن معاهد رسمية Courous في الهند بتدريب
المريدين على أساليب يوكا .
تدرجات الثمانية في يوكا :

أولا وثانيا : الامسك ورعاية القوانين (مثل عدم
العنف والعفاف والخلة وتقنين الأكل)

ثالثا : الأوضاع والجلسات (تقارن مع الأوضاع
في الصلوات في الاسلام)

رابعا : التنفس المراقب Respiration contrôlée

خامسا وسادسا : حبس الحواس inhibition
وجمع الهمة concentration

سابعاً : التفكير

ثامنا : الصنمى أو اندماج الروح في النفس
الحيوي الفرني Atma فهناك أربعة وثمانون وضعا

أي جلسة يتخذها الجسم كما هنالك عمليات تصفية من
بينها تخلية الجهاز الهضمي وبيتئدء بتصفية المعدة
بادخال ساق قصبية في البلعوم oesophage أي
المريء وهو أنبوب المعدة ، ثم نزعها منها أو بابتلاع أكثر
ما يمكن من الماء الدافئ ثم قيئه باستفراغ المعدة وأخيرا
بابتلاع قطعة من النسيج عرضها عشرة سنتمترات
وطولها سبعة أمتار ثم انتزاعها .

وهناك عملية تسمى dhouti تطهر الجسم من
الأنناس وهي تتلخص في تقليص سعة الفم وانتشاق
الهواء بامتلاء تدريجي للمعدة ثم تحريك الهواء داخلها
ولفظه من اسفل ومن خواص هذه الطريقة أنها تستأصل
الأمراض - في زعمهم - وتنمي حرارة المعدة وتوجد
طريقة ثانية في عملية دوتى تستهدف ملء الفم بالماء الى
الحلقوم ثم ابتلاعه ببطء وتحريكه داخل المعدة والضغط
عليه الخروج من المعى المستقيم rectum وينتج
عن ذلك اشتنارة ولعمان في الجثمان .

أما التطهير بواسطة النار agnisara
فقوامه الضغط على عقدة السرة أو على الأمعاء تجاه
سلسلة الفقار نحو من مائة مرة .
القدرة على رفع الجثمان بمجرد الارادة

وخامستها قرب الجيد أي مقدم العنق
وسادستها بين الحاجبين
أما السابعة فأنها تقع في أعلى الدماغ ضمن طبقة
خاصة.

وكل مركز يتحلى بسعف أو زهرة سدز lotus
أو نيلوفر أبيض له عدة تويجيات pétales (أوراق
الزهرة) وعددها ست عشرة في الأسفل والـ ألف في قمة
الدماغ وكل مركز حيوانه الرمزي بحيث يستقر الصنم
سيفا في اسمى المراكز بين الحاجبين - ويحق أن نتساءل
منا عن الغاية التي ينتجها المريدون الهنود بأعمالهم هذه
والتي يمكن أن نلخصها في ثلاثة عناصر :

(1) علاج خلل الروح والجسم وإيجاد حالة من
السعادة الكاملة ماديا ومعنويا (ويتصل هذا العنصر
بالطب عند الهنود) .

(2) الحصول على قوة خارقة للعادة تسمى
Siddhis وهي الكرامات وذلك بواسطة مراقبة
الطاقات الخفية في الجسم .

(3) الوصول إلى الاتحاد الصوفي Union mystique
أي الانصهار في ذات الحق بالتحول أو الاتحاد معها
(يقارن هنا بما عرف في التصوف الإسلامي) ويتحدث
الأدب المعاصر عن ثمانية أنواع من هذه الكرامات
الهندية :

(1) تقليص الذات إلى حجم الذرة anima
(2) تضخم الذات في الفضاء machima
(3) الخفة والارتفاع عن سطح الأرض laghima
(4) القدرة على الوصول إلى كل النقط الممكنة حتى
إلى القمر

(5) سيطرة الإرادة prakamyā
(6) القدرة على الخلق والإبداع sithava
(7) المراقبة الذاتية والمناعة أزاء التأثير الخارجية
vashitva

(8) استئصال جميع الشهوات والحاجيات الجسمانية
ويضيفون إلى ذلك القدرة على الاختفاء

مدى صحة هذه الخوارق :

قام الصحافي الفرنسي (Arthur Koestler)
برحلة إلى الهند وزار معاهد المتصوفة هناك وحدثنا عما

Khecari mudra وذلك بقطع الطرف الأسفل
لعضلة اللسان واجتذاب هذا إلى الخارج بواسطة آلة
من حديد إلى أن يصل إلى ما بين الحاجبين ثم ثنيه حتى
يمس الحنك في أعلى باطن الفم ومنه إلى سمam المنخرين
(أي فتحتهما) المؤدي إلى الفم وإذا ما استطاع المريد
إغلاق هذه الفتحات بلسانه أمكنه إيقاف التنفس وبفضل
هذه العملية يحصل المريد على مناعة تقيه الأغماء وتجعله
في معزل عن الشعور بالجوع والعطش والكسل بل حتى
عن تحمل المرض والهزم والموت في زعمهم ويصبح
الجثمان موسوما بطابع لاهوتي .

وهذه الطريقة تعرف عندهم غالبا بـ
Roi des Mudras ويستطيع الإنسان أن يحقق بها
في نظرهم هدفا آخر يستند إلى الاعتقاد بأن الطاقة
الحيوية لدى الإنسان مركزة في السائل البذري وهو
المني المحفوظ في تجويفات الجمجمة والذي يعتبر ائمن
مادة في الجسم بل أكسير الحياة .

ويأيقاف حركة جهاز التنفس يتقي الإنسان ضياع
هذا السائل الذي ينحدر عادة إلى أسفل الجسم فيعاد
إلى الأعلى عن طريق اللسان .

القوة الثعبانية force serpentine
والغاية القصوى من عملية هاتايوكا Hata Yoga
هي ايقاظ القوة الحيوية الغافية الوسنانية عند الإنسان
في قاعدة عموده الفقري في شكل حية مكورة ملفوفة
حول نفسها تسمى بكونداليني Kundalini فإذا
ما أوقظت هذه الحية فإنها تجبر على الصعود في مسرب
ضيق من نخاع الشوكي مارة بثتى المراحل إلى أن
تصل إلى قمة الدماغ فتتحد رمزيا - في زعمهم - مع
سيفا Siva أحد اصنام الأساطير الهندية وهو زوجها
وتعود الحية الأنتى بعد ذلك إلى مقرها الأول وإذا ما
أصبح هذا الأزواج مستديما قارا فان المريد Yogui
(اليوكي) يتحرر ويختطف عن حسه في زهول نهائى
extase finale

وتمر الحية بست مراحل أو مراكز Chakras
توجد :

أولها في قاعدة نخاع الظهر
وثانيتها فوق الأعضاء التناسلية
وثالثتها قرب السرة
ورابعتها على مقربة من القلب

شاهده في كتاب صدر عام 1961 بباريس بعنوان
le Lotus et le Robot نلخص أهم الانتقادات
الواردة فيه :

فمن ذلك ما أكدته من أن معاهد يوكا للابحاث لا
تشير الى أية تجربة بخصوص ارتفاع الجسم عن سطح
الأرض (ص 139) بل ان أحدى هذه التجارب فشلت
فى بعض هذه المعاهد وقد ذكر أن الحشيش bhang
يلعب دورا هاما فى هاتايوكا (ص 142) .

أما التجربة التى تتبلور فى دفن رجل حي داخل
حفرة فقد قام معهد لونا فلا Lonava بتجربات فى
شأنها فتأكد لديه ان الحفرة المستعملة التى تظهر محكمة
القفل كانت تتلقى الاوكسجين الطري وقد تجلى ذلك
بوضوح عن طريق المضخة التى اجتذبت الهواء (ص 142)
وفى خصوص تجربة إيقاف دقات القلب اتضح ان
ذلك ممكن بالامساك عن التنفس وتلطيف النبضات وهى
الطريقة العلمية المستخدمة فى المصحات والمسماة
فالسالفا Valsalva وفى أمريكا استطاع هانسين
W. Henssen وعمره أربعة وأربعون عاما - التخفيف
من سرعة النبض بل إيقافه تماما مدة خمس ثون .

والمشي على النار ضرب من السحر معروف من
قديم حتى خارج الهند ولم تجر به معاهد البحث الهندية
!ما الطفو فوق الماء فان هاتايوكا تقول بأن البطن انا
أمتلا هواء بحيث يسرى هذا الهواء بحرية داخل الجسم
فان الجسم يطفو بسهولة كورقة السدر على سطح الماء .
والعفاف عند متصوفة الهند راجع الى اعتقادهم
أن من واجب المرید اليوكى الحفاظ على سائله الحيوى
الذى هو أكسير مصفى من الدم يؤمى ضياعه ولو فى
الانزال والانسال المشروعين الى اضعاف الجثمان والروح
معا .

التصوف اليابانى Zen

يستند التصوف اليابانى الى مجموعة من العادات
والاعراف التى تكيف النفسية وتملأ بعض النزعات
الشاذة فالواجب يقضى بالانصياع المطلق الى أوامر
الامبراطور بدون قيد ولا شرط ويعتبر هذا الخضوع أول
مظهر للفكر الخلقى فى اليابان ويسمى لوشو (Le chu)
تليه طاعة الآباء (Le ko)
فى وسع المرء ان يكذب دون ان يعيد عن جادة

الاخلاص والوفاء اذا اختار للكذب منهاجا يتلامم والشكليات
اليابانية (ص 270) ومن عوامل الاخلال بالصدق وخلوص
النية الايفال فى الصراحة فلذلك اعتبروا النموض
والتلميح الخفى فضيلة .

ومن لوازم هذا الخلق النفسى الحساسية المتزايدة
ازاء المذمة واللام مما يشل كل نقد أدبى او فنى ويجمل
من اليابان جنة البوابة من الشعراء .

أوجه التشابه والخلاف بين متصوفة الهند واليابان :
أ (نطق التجانس :

- 1) ارتكاز الوضع الاجتماعى على الأسرة
والجماعة (سلطة الأب ونفوذ الشيخ)
- 2) روح المحافظة والتشبث بالتقاليد عند الفرد
- 3) تساوى الموت والحياة عند الانسان بل ان الموت
يعتبر أقرب الى الكائن الجوهري
- 4) تصور الحقيقة بالكشف والبدية أكثر منها
بالمقل والتجربة .

ب) أوجه التخالف :

- 1) النظام الطبقي متحجر عند الهنود بقدر ما هو
مرن فى اليابان حيث الملكية شبه رأسمالية وشبه اقطاعية
- 2) سنطة الأب وشيخ الطريقة gourou
تشكل واجبا اجتماعيا وقانونيا لا يحيد اليابانى عن
مقتضياته ، فالوالد الهنئى قديس والأب اليابانى غريم
يدان له كثيرا والشيخ اليابانى sensei حكيم ملم
بلوازم الحياة المصرية .

- 3) الشكليات والطقوس الاجتماعية غامضة غير
مضبوظة فى الهند بينما تتسم فى اليابان بالتكلف
والصرامة .

- 4) يتبادل الناس الهدايا فى اليابان ويؤدون
تكاليفهم على قدر ما حصلوا من فوائد .

- 5) وجود تخالف فى خصوص الحب الجسمانى
(العفاف فى الهند وشذوذ جنسى فى اليابان)
- 6) الانتحار منعدم فى الهند بينما يعتبر عند اليابانيين
(hara-kiri) عملا فنيا لا يتقنه سوى العارفين به .
- 7) الهنود يحز فى نفوسهم الم مبرح له صبغة
دينية لا يخشى اليابانيون سوى فقدان سمعتهم ومكانتهم
فى الحياة .

والعمل بدون جهد آليا في حالة من الرهبة والفرع ولهذا يكون الساطورى عبارة عن فكرة مطاطة تهدف الى تحرير الفرد من التعقيدات الذهنية والقيود الخلقية فالتعرف الى هذا الحال هو الشعور بالاشعور .

والتصرف انيابانى هو وان كان متفرعا عن التصوف الصينى Yoga ويستعمل المصطلحات السنسكريتية فانه يتجه الى منحى معكوس فالصمدى عند اليابانيين (samadhi) هو استغراق الكائن الواعى فى سبات عميق هو النناء nirvāna وفى هذه السكره من انكشف الفياض ينغمس اليوكى ضمن الا شعور العالى فيسعى للصعود من الاعماق الى السطح فالصمدى هو اذن السبات العميق والساطورى هو الاستيقاظ من هذه العمرة .

ومن اهداف التصوف اليابانى ايقاع الفكر المنطقى المتعقل فى خلل واضطراب على ان ما يتسم به هذا التصوف من مظاهر التفكير والاستغراق الذهنى ليس سوى عملية خالية من كل روح اذ لا وجود فى نظر المتصوفة اليابانيين لالاه ولا لاخلاق ولا لاي مذهب ولا تعاليم وانما هو ترداد الى نفس الشيء الى ان يتحقق نوع من السبات المغنطيسى فالتأمل - ان كان هنالك تأمل - لا يقصد منه انبثاق الروح فى ظفرة خارقة الى العالم العلوى وانما هو اداة لتخيل العقل وحمله على الاستسلام ولذلك كانت النتيجة الحتمية لهذه الآلية ولهذا السطحية انهيار الروح الدينية فى اليابان منذ قديم بصورة لا مثيل لها فى العالم .

الفلسفة الصينية :

كان العلماء يعتقدون الى اوائل القرن العشرين ان العصر الصينى لما قبل التاريخ يبتدىء فى المدة المتراوحة بين 2479 و 2395 قبل الميلاد بظهور ملوك الصين Chounn, Yao, U غير ان اعادة النظر فى النصوص

(8) الاخلاق عند اليابان اشبه بفلسفة النرائع (pragmatisme) القائلة بانه لا وجود لحقيقة مطلقة وان كل ما نجح هو الحقيقة وهي فلسفة سائدة عند الانجلوسكسون وتعتبر اساس نجاح الفريقين فى الحياة المعصرية وهي متشابهة مع الفكر القائل بان الغاية تبرر الوسيلة .

(9) والاه Kami عند اليابان لا يكاد يسمو الا بقليل عن الانسان الكامل والتصوف اليابانى ليس سوى خزعيلات وجودية (34) بل نسيج من المخاريق المحاطة بهالة من الابهة وللتعبد بهذه المخاريق مغزى رائع عندهم .

ويظهر ان تعاليم التصوف اليابانى (Zen) متجهة كلها ضد التججير وانقهر المفروضين فى قانون السيرة اليابانى ويدعو هذا التصوف الى العودة للطبيعة فيقول : انا جمعت فكل وانا تعبت فتم كما يعلم الطفل ان يكون تلقائيا اى طبيعيا فى كل شؤونه ويهدف الى القضاء على المراقبة الذاتية بابرار ضرورة السير الى الامام دون حيرة ولا تردد كما يحطم سلطة الاب جاعلا شيخ الطريقة او الراهب (roshi) مكان الاب .

وقد تسربت هذه الطريقة الصوفية الى اليابان اواخر القرن الثانى عشر الميلادى بعد دخول مذهب كونفوسىوس اليها بخمسة قرون وكذلك الاشكال الاولى للمذهب البونى وقد كسب هذا المذهب نفوذا واسعا فى كثير من مظاهر الحياة والفن كالرسم وفلاحة الحدائق وتعمد الزهور وحفلات الشاي والمسايقة ورماية القوس وذلك ببعث الثقة فى البداهة التلقائية واستئصال التفكير الموغل والاحتراس المفرط غير ان اللجوء الى طقوس صوفية يعتبر امرا ضروريا ومفتاح هذا الحال هو المعروف عندهم بـ : (satori) وهو ذلك الاشعاع الكشفى المفاجىء الذى يثير الانتباه او الاشراف عندما يتحقق الانفصال بين الانا الفعال والانا الملاحظ فينبثق الفحل

(34) الوجودية مذهب فلسفى قائل بان الوجود يسبق الجوهر ويخلقه ومعنى ذلك عند هيدجير Heidegger (فى كتابه الصادر عام 1927) وبول سارتر ان فى الوجود الفردى تكمن مشاكل اصل وجوه ومغزى الحياة الانسانية لان طبيعة الانسان فى ذاتها لا مغزى لها ولان الانسان المتجه نحو المستقبل ليس فى ذاته سوى فراغ وعدم غير ان اندراجه الفعل فى وضع واقعى هو الذى يخلق القيم التى تصفى على حياته مغزى فيستطيع انذاك التعرف الى جوهره الذاتى وقد وضع كل من Gabriel Marcel, Kierkegard وجودية مسيحية ادراجا فيها اسرار اعتناق المسيحية كتجربة محققة .

المتوفرة بالصين حدا الى تاريخ الوثائق الاولى المحققة بالقرن الثامن قبل الميلاد وبهذا انهارت الاسطورة القائلة بان هذا التاريخ يمتد الى 18000 و 72000 قبل الميلاد كما انهارت ادعاءات اصحاب مذهب طاو Tao وما نسبوه الى P'an-kou الجد الخيالى للبشر .

وقد عثر اندرسن Anderson عام 1921 فى Yang Chao ثم فى Kansou على بقايا حضارة يظهر أن لها اتصالا عبر آسيا الوسطى بالمصر الحجرى الأعلى الجديد Néolithique supérieur بفارس وروسيا وآسيا الصغرى (طروا) وبهذا تكون المؤسسات الفلاحية القائمة اصالة بمصب النهر الاصفر بالصين وبالبحر المتوسط قد امتدت الى بحر البلطيق والبحر الأسود والمحيط الهادى (35) .

مذهب كونفوسىوس Confucius

فى آخر عهد أسرة Tchéou (1122 - 222 ق.م.) اتسم الوضع بما يلى : خلل فى السياسة واهمال لمقتضيات القانون وتناحر بين الدويلات والاستهتار بالاخلاق فظهر مفكرون امثال كونفوسىوس (36) النبى ولد عام 551 ق.م. فى ولاية لو شمالي الصين من عائلة فقيرة وقد ماتت امه وعمره أربع وعشرون سنة فتوقف عن العمل العمومى طوال ثلاث سنوات طبقا لما تقضى به العادة فى عدة الرجال الذين توفى أحد ابويهم فاستقال آنذاك من منصبه فى تفتيش الانقال

Inspection des bagages

واهتم بالتاريخ القديم ثم قام بجولات طويلة داعيا الى افكاره وقد عمل على اقرار نظام خلقى كامل وقدم كنموذج لتكامل العائلة المالكة Tchéou التى استمدت من حضارة Sia (2205 - 1784 ق.م.) و Chang

(او Yin : 1783 - 1123 ق.م.) وعندما بلغ سنه السادسة والخمسين اصبح وزيرا اول فى ولاية لو Lou فاخفى اللصوص فى مدة شهر غير أن بلاط Tsi وجه الى امير لو اربما وثمانين من الراقصات استملن الامير فاضطر كونفوسىوس حفظا لكرامته كمستول فى هذه الولاية الى التنازل عن منصبه فعاد الى تجواله ثم ختم المطاف بالرجوع الى مسقط رأسه وعمره ثمان وستون سنة .

وهنا انكب على تصحيح ونشر الكتب القديمة التى كانت تشكل تراث حضارة وحكمة الصين وكتب فى آخر حياته تاريخا سماه « الربيع والخريف » (722 - 481 ق.م.) كان يود أن يحكم عليه الناس من خلاله .

وأهم الكتب القديمة التى استقى منها خمسة اعتبرت انجيل هذا المذهب وهى :

I كتاب التحولات Livre des mutations
حول العائلات المالكة الثلاث وهى Hia (1589 -
1558 ق.م.) و Chang (1050 - 1058 ق.م.) و
Tchéou (1122 - 250 ق.م.) وينص هذا الكتاب على وجود عالم علوى يتحكم فى السفلى ويستمد أصله من مبدأ مطلق هو « الذروة العليا » كما يؤكد أن رعاية نواعيس السماء تستلزم السعادة حتما بينما ينزل الشقاء بمن لا يربعاها وهذا الاتجاه هو محور الحكمة الصينية التى تدعو الانسان الى ملاحظة الطبيعة للاحتذاء بها فالحكيم الصينى يفكر فلسفيا لا للتعلم فى ماهية نذات أو ذوات الاشياء ولكن للوقوف على منهج طبيعى للعمل يحتديه .

(35) الحكمة الصينية والفلسفة المسيحية Maitre Henri Bernard ص 16

وقد درس جوفرى بيبي فى كتاب حديث وضع العالم فى عام 2000 ق.م كما تحدث علماء الجيولوجية وخاصة منهم العالم الفرنسى تيرمى Pierre Termier عن قارة كانت معاصرة بل سابقة للاطلنطيد وهى غندوانا Gondwana (واسمها العلمى Lemurie حيث كانت تقع الصين .

وقد صدر اخيرا بحث فى (مجلة Planète العدد 17) ورد فيه ان الاطلنطيد هى اقليم اوفرني Auvergne بالساحل الفرنسى ويوجد جزء منه فى Massif Central بينما يقع الجزء الآخر منذ آلاف السنين فى قلب شمال المحيط الاطلنطيقى وهو عبارة عن جزيرة طولها سبعة ك.م. وعرضها ثلاثة عشر عليها على عمق 3.682 مترا تحت الماء .

(36) الذى حكى لنا عن حياته Ssé-Ma-Ts'ien (الذى عاش بين 184-185 ق.م.) فى الفصل السابع والستين من مذكراته .

وقد ظل مذهب كونفوشيوس الفين من الأعوام رائدا أساسيا للأخلاق في الصين وكانت صورة كونفوشيوس معلقة على أبواب المدارس الى تأسيس الجمهورية عام 1911 .

أقوال كونفوشيوس :

- لا تفعل مع الآخرين ما لا ترغب أن يفعلوه معك
- ترهب زوالا انا قيل تم
- الحكيم يتحمل الأضراء بثبات والرجل العاني تستخفه الأضراء

- التشريع الالهي كامل لا يمتريه خلل والانسان الكامل هو الذي يتعرف الى هذا التشريع
- خير الأمور الوسط الوسيط
- الانسان الكامل هو الذي لا يعمل من أجل اشباع شهوته ولا يبحث عن ملذات الفراغ والجاه ويستجيب لداعي الواجب ويعاشر اهل الخير ويقول ما يفعل ويفعل ما يقول ويعامل الجميع دون تحيز وهو مجرد من كل اثنائية أو عناد ، ويتتبع الخمول وينمزل عن الناس ولا يجد في ذلك مضضا ولا يسأل الناس شيئا ويعتقد أن له رسالة يؤديها ويقمع نفسه وهو قليل الكلام متند متزن في انطق سريع في عمل البر ، والانسان الكامل لا يتغير انا عاشر الجهان لتمكنه في العلم والعقل .

مذهب طاو Taoïsme

لاوتسو Lao-Tseu اكبر منافس لمعاصره كونفوشيوس ومذعبه مناقض تماما لمذهب خصمه فيقدر ما يتجه هذا نحو العوالم الأرضية بقدر ما ينغمز الآخر في التأملات في الذات الأزلية مع التجرد عن الذات ولهذا يعيش اصحاب هذا المذهب في عزلة عن الخلق وفي خمول .

وهم يعتقدون أن القوانين الخلقية والاجتماعية مصطنعة لأنها تتنافى وطبيعة الأشياء فلذلك ينبغي - في نظرهم - أن تترك العالم يسير يوما ليوم دون تدبير .

ولاوتسو هذا مشبع بالروح الفردية يعانى كل ثقافة مع الميل الى التصوف وكان محافظا للوثائق في العاصمة Lo-Yang فاستقال وانعزل عن الخلق عندما انهارت الأسرة المالكة Tchéou وقد نحنا كثير من الناس هذا المنحى نظرا للهرج السائد في هذا العصر ويرجع انصار هذا المذهب الى كتاب اسمه « طريق

(2) كتاب الشعر livre de la poésie ينسب لمؤسس عائلة Tchéou ويظهر أن كونفوشيوس انتقى من قصائده (ثلاثة آلاف في الاصل) ثلاثمائة وخمس قصائد وجمل منها كتابا مدرسيا للأخلاق تنعكس فيها النفس الصينية وتمسكها بقضايا الدين .

(3) كتاب الوثائق livre des documents وهو يحتوي على خطب الشوك في الأزمات ونصائح للحكم المثالي وقضايا أخلاقية وسير صالحى الأمراء وقد أحرر عام 213 ق.م. وأعيد نشره (بين 208 و 220 ق.م.) .

(4) القاعدة الكبرى la grande règle

يزعمون انه موحى به للملك Yu le Grand (2.205 ق.م.) ويقال بأنه حرر عام 1050 ق.م حسب التقايد وهو يحتوي على مبادئ الحكم المثالي كسهر الملك من أجل احتذاء الشعب بقوانين السماء ونيل جزاء يتبلور في خمس نقط (طول العمر والثراء والسلام والترقى في الخير وحسن الخاتمة) والمخالف يتعرض للذكريات الست (سوء الوفاة قبل الابان والامراض والاحزان والفقير وتسلط الاستبداد والضعف) .

وهذه النظرية تعتبر الملوك مختارين من السماء لتحكم باسمها فرسالة الملك هي خدمة الشعب وصون سعائته فهو أب للشعب وامام روحى .

وهكذا تكون أسماء أس الأخلاق الهادفة الى جعل المواطنين صلحاء خاضعين للحكم القائم فارادة الله (ويرمزون اليه بأسماء) هي المسماة بقانون الطبيعة المحتنى وقد نقش الله قانونه في قلب الانسان فهو البصيرة والنور النابع من فيض الارادة الالهية يفرق به المرء بين الخير والشر ويرى كونفوشيوس وجود اله غير منظور من خلال الأشياء المحسوسة في هذا العالم فهو يعتقد انن وجود اله واحد وتتبلور هذه العقيدة في الصلوات لذلك قال Mencius بان وازع الاستقامة هو خوف الله وتقديسه ففكرة الأخلاق عند كونفوشيوس انسانية ولكن أساسها يسمو عن مستوى الأرض اذ طبيعتنا ليست سوى ارادة الله فينا والطبيعة الانسانية خيرة لأن الانسان - كما يقول كونفوشيوس - يولد مستقيما ويرى خصمه Soem-Tsen ان هذه انطبعة شريرة لأن خيرها مصطنع مضاف فالواجب الخلقى حسب كونفوشيوس ايجابي وانشائي يبرز في جو من التفاؤل ويحبو الى البحث عن جذور الفضيلة المغرزة في نفوسنا لتطويرها وحفظها .

أفضلية ، Tao-To-King يحدهم الى التحرر من قيود الزمان والمكان والانسياق مع تيارات هذا العالم . وهم يبحثون باستمرار عن قانون ابدى لا يتغير يتناسقون مع مقتضياته فلذلك يدعون الى ابطال المجتمع وكل ما يصطاح عليه الناس فمذهبهم هو الوحدة والانسجام مع هذا الناموس الأزلى ولذلك مراحل ثلاث هي : (1) مشاهدة الواحد . (2) حالة الاشراق . (3) الاتحاد مع الذات المطلقة وهم ينجون هنا ما نهجه بعدهم الصوفية فى الاسلام مع تغاير يسير فى الاصطلاح ومرحلة التخلية purification هي فى نظرهم أشق الأحوال فى الطريق الصوفي تليها فترة الاشراق المؤدى الى الاتحاد انكامل الذى يعتبرونه سرا من أعظم الأسرار le grand mystère

وترك التدبير le Non-Agir هو قوام المذهب والأمير له واجب أساسى هو عدم القيام بأى شيء كلما ازدهرت القوانين تكاثر اللصوص وكل مجهود خلقى أو ثقافى إنما هو عرقلة فى طريق النظام الطبيعى للأشياء .

فالحكم فى نظرهم هو : ا فراغ القلوب وملء البطون والتجرد من الطمع وتقوية العظام ومعنى هذا أن أحسن نظام للحكم هو عدم الحكم المباشر أما الحرب فأنها شيء مقيت .

وقد تأثر الأدب والفن بهذه النظرة المتحررة الى الحياة حيث يبرز السأم من الدنيا ومحبة العيش فى أحضان الطبيعة فلهاذا نلاحظ أن الفن الصوفى ملئ بشعر مناظر الطبيعة الصينية .

وقد ازدهر هذا المذهب الى أن بدأ ينهار فى القرن الثامن بمناقسة مذهبي بودا وكونفوسىوس .

مذهب موطى Mo Ti

عاش موطى بين 479 و 381 ق.م. وكان لمذهبه نفوذ بين 481 و 205 ق.م. وأنصاره أكثر شعبية وأقل ارسقراطية وقد اهتم بالحكماء الأقدمين مثل كونفوسىوس الا أنه حمله مسئولية الاضرار بالمجتمع وعدم صلاحية مذهبه لانقاذ الأرواح لأن أنصار كونفوسىوس لا يؤمنون بوجود الله ولا بوجود الأرواح وينقلون كاهل الشعب بالآتم الفادحة والواقع أن كونفوسىوس لا يهتم بمصير الانسان بعد الموت .

لهذا اقترح موطى فى هذه الظروف المضطربة علاجاً واحداً لهذا الداء وهو العودة الى عبادة الله

والأرواح مع اتباع نظام صارم هو نباتية الطعام والفقير وحب الانسانية ومحاربة العدوان والدعوة الى السلم بين الشعوب .

ويعد وفاة موطى تشعبت مدرسته الى ثلاث فرق متناحرة مما أدى الى انتعاش مذهب كونفوسىوس بين 20 الى 220 ق.م. ثم انتعش المذهب الموطى بين 1744 - 1794 بعد الميلاد ولكن كتبه المحرقة لم يعد نشرها الا فى القرن السابع عشر .

ويقول موطى بأن السماء هي الله الذى يعاقب ويجازى بعادل ولا يكلف نفسه عناء التذليل على وجود الله لأن الشمس لا يستقل على وجودها .

والملك خليفة الله فى الأرض وهو مقدس ونموذج للشعب وهو بطل وحكيم وصالح وأب الشعب وليس هو فى سلك الآلهة والأرواح الخيرة والله وحده هو المشرع والملك ينفذ ولا نجاة للمجتمع دون العمل الموصول من أجل الانسجام مع الارادة الالهية فيجب انن التعرف الى هذه الارادة مع حب الانسانية واعتبار هذا الحب كتعبير منطقى عن تلك الارادة .

ويحمل موطى على كونفوسىوس لتجزئته هذا الحب الانسانى الى حب عائلى له الأسبقية الى حد أن جميع الفضائل تحصر فى تبجيل الأبوة والواقع أن موطى لا يهدف الا الى هدم الفردية الأنانية التى هي أحد أسباب نكبات المجتمع وانعدام الحب الانسانى يؤدى بالمجتمع الى الاضطراب والجور وقد قال بأسكال : « كل الشرور آتية من الميز بين أنا وأنت ومالى ومالك فمن هنا جاءت الخلافات والحروب » .

وقد حظر موطى الحرب لأنها أداة لفرض المطامح السياسية مع تحفظ واحد وهو أن السلام الذى يعتبر شرطاً جوهرياً للسعادة لا يكون كذلك الا اذا نتج عن العدل والحب الانسانى فالانضباع للعدوان لا يسفر عن السلام بل عن الاستعباد فلهاذا كانت الحرب الدفاعية واجبا من الواجبات .

البيونزية

المذهب البيونى هندي الأصل ولم يدخل الى الصين الا بعد مرور خمسة أو ستة قرون على انتشاره فى الهند وفارس وآسيا الوسطى والغربية وقد ظهر لأول مرة فى حدود إقليم نيبال بالهند خلال النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد واذا كان بوذا يعتبر أسطورة فإن شخصه يرمز الى التصوف المؤدى الى الاشراق والفناء

Amidisme او طريق الارض الطاهرة التي تشبه
الماماينا وأستاذها هو هواي يوان Houei-Yuan
(334 - 416م) الذي هو شيخ الحركة في الهند الصينية
والصين واليابان وقد ساد هذا المذهب في الصين
وانصاعت له النفوس في القرن العاشر الميلادي الا أن
انهيار البوذية استتم في العهد المتراوح بين 960 و 1127م
ويزعم الأميديسم أن الكائنات الحية كلها خاطئة منذ
القدم وأن الأرواح تتحمل ثقل ما ورثته في حياتها
السالفة ويمتاز هذا المذهب بديموقراطية دينية يتعامل فيها
كافة المريدين ضمن مستويات خالية من كل التراتيب
الصفوية .

وفي القرن السادس الميلادي ظهر فرع جديد هو
مدرسة تشان (Tchan) وهو مزيج من البوذية
الهندية والفلسفة الصينية يؤدي إلى اشراق مفاجيء
ويقول بان خير الطرق للتنقف والرقمي في مدارج العرفان
هو عدم العمل من أجل الحصول على ثقافة ولذلك يبنى
على فكرة الثقافة في ترك الثقافة (وهو شبيه بالمذهب
الصوفي القائل بالتنوير في ترك التنبير) لأن النضج
ينبثق عن اشراق مفاجئة فمن اشرق قلبه بنور العرفان
انحلت مشاكله في نفس الآن وانتقل من الوهم إلى
الحقيقة الرضاء والحكمة الفياضة وهذه النظرية تناقض
ما قاله البوذيون من أن التطور تدريجي لا يتم الا بتراكم
متصاعد للمعارف والتجارب والنتيجة الحتمية لهذه
النظرية الجديدة هي أن المعرفة نوقية لا تفي بها الاشارة
ولا تكتنفها العبارة فلهذا يزعم انصار هذا المذهب أنه
لا حاجة لهم بالمظاهر الخارجية كالنقوش والنقش
والعبادة ودراسة النصوص الدينية فالتأملات وحدها
كفيلة بانترج المريدين في حالة الدهش واختطاف الحس
والوصول في لمح البصر إلى مرتبة الكمال .

عبد العزيز بنعبد الله

المراجع :

- 1) الفسفة الصينية بقلم Chow Yih-Ching
Presses Universitaires de France (Paris 1956)
- 2) الحكمة الصينية والفلسفة المسيحية
Sagesse chinoise et philosophie chrétienne
Henri Bernard Maître
- 3) كونفوسوس
Confucius par Marc Semenoff
(Collection Sagesse - Paris)
Le Lotus et le Robot, Arthur Koestler (Paris
1961)

ويريد أن يعطى للبشرية طريقا للنجاة دون اللجوء إلى
الآلهة ويستمد الاحبار البوذيون مبادئ حياتهم اليومية
من مناقب شيخهم الأسطورية التي تتلخص في الدعوة
والتبشير والتسول والعفاف .

ويعتبر ساكياموني Sakyamouni صورة
لبوذا وقد عاش في حوض الكانج بين سنتي 563 و 480
ق.م. الا أن التاريخ الرسمي يؤكد أن البوذية تسربت
إلى الصين بين عامي 60 و 70 بعد الميلاد وقد أثر مذهب
طاو في البوذية مما أدى إلى انبثاق اتجاه صيني عند
البوذيين وقد أصبحت البوذية هي الدين الرسمي في
الصين بين 284 و 220 ق.م. وأمست نسبة معتنقيه عام
405م تسعة أعشار السكان وقد ازدهرت الكنيسة البوذية
خلال ثلاثة قرون (620 إلى 906م) فبلغ عدد الأديار
البوذية في مدينة واحدة واحدا وتسعين (منها سبعة
وعشرون للنساء) والفكرة الجوهرية التي تركز عليها
البوذية هي عدم البقار la non-permanence
أن كل شيء زائل عارض حتى الآلهة المزعوم برامها
Brahma رغم اعتباره من طرفهم خالق العالمين
والأرواح نفسها غير قارة فلذلك تنتقل من جسم إلى جسم
عند الوفاة وهذه هي نظرية التناسخ وللأعمال المحققة
قديما القدرة (Karma) على خلق ظروف جديدة
بل وجود جديد ولذلك يشعر الانسان أحيانا أنه سبق
له أن عرف هذا الشيء أو ناك لأن روحه هي العارفة
والمجربة لذلك الشيء في الأزل ، فالبوذية إذن متشائمة
لأنه لا شيء في الوجود يستحق في نظرها أن يتعلق
الانسان به والسعادة كل السعادة في عدم الوجود
والراحة الأبدية أي في الفناء فالمريد الذي يندرج في
حال الفناء ينظف كالثمعة .

وقد انقسمت البوذية في القرن الثالث قبل الميلاد
إلى ثلاث فرق منها ماهايانا (Mahayana) القائلة
بأن الحقيقة تكمن في الروح وحدها أي أن الروح هي
نفسها المنجودة حقيقة في حين أن العالم الخارجي
المحسوس ليس سوى فيض عن هذه الروح وكل الأحداث
والمظاهر الكونية لها مسرح واحد تتحقق فيه هو الروح
وفي وسع الانسان أن يدرك مغزى عدم المطلق الذي هو
حقيقة مستديمة وذلك بالنخض من المطامع وشهوات
النفس وتهدف طريقة ماهايانا إلى انقاذ الانسانية جمعاء
في حين تتجه طريقة ميهايانا Hinayana إلى تحقيق
السلامة الفردية متمسمة بشيء غير قليل من الأناية .
وقد ظهرت فروع أخرى للبوذية أحدها الأميديسم